

تفسير ابن كثير

قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ^ط فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ ^ط إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ ^ج إِنْ مَّوَعِدُهُمُ الصُّبْحُ ^ج أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ

(قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل ، وأن

يتبع أديبارهم ، أي : يكون ساقية لأهله ، (ولا يلتفت منكم أحد) أي : إذا سمعت ما نزل

بهم ، ولا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن استمروا ذاهبين [كما أنتم] . (إلا

امرأتك) قال الأكثرون : هو استثناء من المثبت وهو قوله : (فأسر بأهلك) تقديره (إلا

امرأتك) وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك ; لأنه من مثبت ، فوجب نصبه

عندهم . وقال آخرون من القراء والنحاة : هو استثناء من قوله : (ولا يلتفت منكم أحد إلا

امرأتك) فجزوا الرفع والنصب ، وذكر هؤلاء [وغيرهم من الإسرائيليات] أنها خرجت

معهم ، وأنها لما سمعت الوجبة التفت وقالت واقوماه . فجاءها حجر من السماء فقتلها

ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرا له ; لأنه قال لهم : " أهلكوهم الساعة " ، فقالوا : (إن

موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) هذا وقوم لوط وقوف على الباب وعكوف قد

جاءوا يهرعون إليه من كل جانب ، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم
عما هم فيه ، وهم لا يقبلون منه ، بل يتوعدونه ، فعند ذلك خرج عليهم جبريل ، عليه
السلام ، فضرب وجوههم بجناحه ، فطمس أعينهم ، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق ،
كما قال تعالى : (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر] ولقد
صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر) [القمر : 37 - 39] . وقال معمر ،
عن قتادة ، عن حذيفة بن اليمان قال : كان إبراهيم - عليه السلام - يأتي قوم لوط ، فيقول
: أنهاكم الله أن تعرضوا لعقوبته ؟ فلم يطيعوه ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله [لمحل عذابهم
وسطوات الرب بهم قال] انتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له ، فدعاهم إلى
الضيافة فقالوا : إنا ضيوفك الليلة ، وكان الله قد عهد إلى جبريل ألا يعذبهم حتى يشهد
عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشر [
والدواهي العظام] ، فمشى معهم ساعة ، ثم التفت إليهم فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل
هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض شرا منهم . أين أذهب بكم ؟ إلى قومي وهم [من
[أشر خلق الله ، فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوها هذه واحدة . ثم مشى

معهم ساعة ، فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم قال : أما تعلمون ما يعمل أهل

هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أشر منهم ، إن قومي أشر خلق الله . فالتفت

جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوا ، هاتان اثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء

منهم وشفقة عليهم فقال إن قومي أشر من خلق الله ؟ أما تعلمون ما يعمل أهل هذه

القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرا منهم . فقال جبريل للملائكة : احفظوا ،

هذه ثلاث ، قد حق العذاب . فلما دخلوا ذهب عجزو السوء فصعدت فلوحت بثوبها ،

فأتاها الفساق يهرعون سراعا ، قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيف لوط قوما ما رأيت قط

أحسن وجوها منهم ، ولا أطيب ريحا منهم . فهرعوا يسارعون إلى الباب ، فعالجهم لوط

على الباب ، فدفعوه طويلا هو داخل وهم خارج ، يناشدهم الله ويقول : (هؤلاء بناتي

هن أطهر لكم) فقام الملك فلز بالباب - يقول فسد - واستأذن جبريل في عقوبتهم ،

فأذن الله له ، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه . ولجبريل جناحان

، وعليه وشاح من در منظوم ، وهو براق الثنايا ، أجلى الجبين ، ورأسه حبك حبك مثل

المرجان وهو اللؤلؤ ، كأنه الثلج ، ورجلاه إلى الخصرة . فقال يا لوط : (إنا رسل ربك

لن يصلوا إليك) امض يا لوط عن الباب ودعني وإياهم ، فتنحى لوط عن الباب ، فخرج إليهم ، فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم ، فصاروا عميا لا يعرفون الطريق [ولا يهتدون بيوتهم] ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال : (فأسر بأهلك بقطع من الليل) . وروي عن محمد بن كعب [القرظي] وقتادة ، والسدي نحو هذا .